

الخط العربي والنقود في مدينة الكوفة حتى نهاية العصر الأموي

م. د. صلاح هاتف حاتم
جامعة القادسية / كلية الآثار

زاولا : نشأة الخط الكوفي

بظهور شمس الاسلام دخل الخط العربي^(١) مرحلة جديدة فاخذ كتاب القرآن الكريم على عاتقهم اتقان كتاب الله عز وجل بكل اخلاص ليظهره للناس بالمظهر المناسب وبأحلى واجمل صوره ممكنة وذلك لقدسيته في نفوس المسلمين وليان كلماته بوضوح ويسر فكانت هذه الدعوة الى تجويد القرآن الكريم ساهمت اسهاما فعالا في تجويد الخط العربي منذ عصر النبي ﷺ والعصر الراشدي فقد كان النبي الكريم ﷺ يحث على تعلم القراءة والكتابة^(٢) وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الى القراءة والتعلم مثل سورة العلق (اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)) وسورة القلم (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)) فضلا عن ظهور التدوين^(٣) ومن الخط الكوفي انحدر الخط المغربي والانديلسي ، ساهمت هذه الامور مجتمعة في تحسين وتجويد الخط العربي والخط المستخدم على الرقوق بشكل عام معروف بالخط الكوفي التي مصرت سنة (١٧هـ / ٦٣٨م)^(٤) قرية من الحيرة وريثة حضارات وسط وجنوب العراق وهذا ما يؤيده الراي القائل بان الخط الحيري^(٥) يعتبر المصدر الذي تطور عنه الخط العربي قبل الاسلام يتبين ذلك من الرواية التي نصت على ان خالد بن الوليد عندما توجه في حروبه لفتح ارض السواد وجد قبائل عربية في الانبار فسألهم ما انتم قالوا : قوما من العرب نزلنا الى قوم من العرب قبلنا فلما رآهم يكتبون سألهم ممن تعلمتم الكتابه ، قالو من قبيلة اياد ثم انشدوا :

قومي اياد لو انهم أمم او لو اقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم^(٦)

بلغ الخط العربي الذي انتقل مع المسلمين من الحجاز الى العراق مرحلة متطورة في مدينة الكوفة وذلك لأن العرب المسلمين عند تحرير العراق من الاحتلال الساساني احتاجوا الى نسخ جديده من القرآن الكريم فالمرجح انهم استعانوا بالنساخين السريان الذين لم يكونوا غرباء عن العرب المسلمين^(٧) وكان لهم معرفة ودراية بالمداد ومواد

الكتابة مثل الاقلام والمهاريق (الاثواب) والجلود والقراطيس وغيرها^(٨) فالمرجح انهم جعلوا قواعد واصول هندسية للخط العربي كما كان للخط السرياني ، فلما رأت بقية اقاليم الدولة العربية الإسلامية جمالية الخط القادم من مدينة الكوفة عملوا على تقليده وجعلوه الخط المتبع في كتابة القران الكريم والمراسلات وتسمى باسم المدينة التي صدر منها فاشتهر باسم الخط الكوفي ، لاسيما وان الكوفة اصبحت عاصمة الدولة العربية الإسلامية في خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام (٣٦ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦٠ م) ووفود القبائل العربية اليها من الجزيرة ، ساهم ذلك في اتساع النشاط الثقافي والحضاري^(٩) حيث نقل التوحيدي ان الامام علي عليه السلام كان يتابع الخطاطين الذين يقومون بكتابة المصاحف في الكوفة ويبيدي لهم النصائح في كيفية كتابتها حيث قال لأحد الكتبة (الق داوتك ، وأصل سن قلمك ، وفرج بين السطور ، وقرمط حروفك)^(١٠).

كان بداية ظهور الخط الكوفي على المسكوكات العربية الإسلامية وبعض النقوش الكتابية مثل رسائل الرسول (انظر شكل ١) ويتضح ان اللين واليوسة^(١١) صفات من اصول الكتابة العربية في الجاهلية والاسلام ، حتى اصبحت في نهاية العصر الراشدي وبداية العصر الاموي اكثر دقة ورصانة ويميل الى الليونة اكثر ، وقد اطلق المختصين^(١٢) على الخط الكوفي خلال العصر الراشدي والعصر الاموي بشكل عام بالخط الكوفي البسيط او الكوفي البدائي وذلك لخلوه من أي ضرب من ضروب الفن والزخرفة ولم يلحقه أي تظفير او تزهير ويميل نحو التألق والليونة دون ان تدخل عليه أي زيادات او زخارف نباتية ، ويقوم على اصول هندسية حيث تلتقي الحروف الهندسية العمودية مع الحروف الممتدة المنبسطة (لوح شكل ٢) ومن الخط الكوفي ولد الخط المغربي الذي نحن بصدد دراسته .

مصرت الكوفة سنة (١٧هـ / ٦٣٨ م) وأصبحت مركزاً للعلم والأدب بعد أن صيرها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عاصمة للخلافة الإسلامية عام ٣٦ هـ (١) ، وهاجر إلى الكوفة (إذ هي عاصمة البلاد) الكثير من المسلمين من مختلف الآفاق

وسكنتها القبائل العربية من اليمن والحجاز ، وعمرت فيها الأسواق التجارية ، وتطورت العلوم اللغوية والنحوية والخط العربي .

وأصبحت قاعدة مهمة من قواعد الفتوحات الإسلامية التي انطلقت منها الجيوش الإسلامية تطوي الأرض شرقا وغربا في نشر الدعوة الإسلامية ، ورفد بيت المال بالكم الهائل من الثروات ، فقد بلغ خراج الكوفة في زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي حصله سهل بن حنيف مئة مليون وثمانية وعشرون مليون درهم (٢)

أهمية المسكوكات الكوفية

تعتبر نقود الكوفة واجهه حضارية مهمة لهذه المدينة من النواحي الاقتصادية والتاريخية والصناعية والفنية والأثرية خلال حقبة طويلة من الزمن عاصرت خلالها المسكوكات جميع الحقب التاريخية وكانت مرآة عاكسة للإحداث السياسية والاجتماعية لما يحدث في مدينة الكوفة وقد احتلت المسكوكات الكوفية مكانها البارز في المتاحف العالمية وبكميات كبيرة لاسيما في المتحف العراقي .

عيار المسكوكات الأموية في مدينة الكوفة

لا تختلف المسكوكات الإسلامية في سبكها وسكها في مختلف أصقاع الدولة العربية الإسلامية وإنما تختلف في عيارها والدرهم أربعة دوانق ، والدينار تتفاوت قيمته بين (١٠-١٢) درهم وكان العيار بالصنجات الزجاجية التي وضعت لوزن الدنانير والدرهم والجواهر الثمينة ، وذلك لحفظ الوزن ثابتا والزجاج أحسن مادة لهذا الغرض إذ لا تؤثر فيه الرطوبة مما يوجب اختلاف الوزن ، وكان عيار الفضة التي يضرب منها الدراهم يتحسن من حين إلى آخر ويتبارى الأمراء في تجويده وتحسينه كما تشددوا في تنقيته وتخليصه من الشوائب والزيوف فلما ولي عمر بن هبيرة الكوفة سنة (١٠١-١٠٥هـ) ضرب دراهم أنت أجود بكثير مما ضرب الحجاج ، فخلص الفضة من الشوائب واشتد في تبديل العملة ، كما شدد على من يضربونها وكانت دراهمه تدعى بالهبيرية وكان الدرهم الهبيري يزن ستة دوانق بنفس وزن الدراهم التي أقرت في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وعندما ولى خالد بن عبد الله ألقسري الكوفة لهشام بن عبد الملك سنة (١٠٦-١٢٠ هـ) اشتد في تخليص الفضة من الشوائب ، واشتد في أمر المسكوكات أكثر من ابن هبيرة ، حتى استطاع أخيرا أن يحكم أمرها

وكان وزن الدرهم الخالدي يزن سبعة دوانق كما أن حجمه اكبر من حجم الدراهم الهبيرية ، وسميت بالدراهم الخالديه

ولما تولى يوسف بن عمر الثقفي الكوفة (١٣٠-١٣٦ هـ) بعد خالد ألقسري أفرط في الشدة وذهب ابعد من أسلافه في تخليص العملة من الشوائب والدقة في العيار وصغر حجمها ، وجعلها على وزن ستة دوانق ونقل دور السك من الكوفة إلى واسط ، وقد غالى يوسف غلوا شديدا في مراقبة الطبايعين وأصبح العيار في الكوفة وذلك لكثرة الغشاشين والمزيفين ، فحبس وقطع الأيادي وانتزع الجلود ، وغيرها من الإجراءات القاسية في سبيل السيطرة على شؤون السكة

هذا وكانت الدراهم الهبيرية الخالديه واليوسفية أجود أنواع الدراهم الأموية المضروبة في الكوفة وواسط ، حتى أن الخليفة العباسي ابوجعفر المنصور لم يكن يقبل جباية الخراج بغير هذه الدراهم .

كما راقب ولادة الكوفة في العهد الأموي تداول العملة بين الناس وقد عهدوا إلى المحتسب بالتفتيش ومراقبة الدراهم والدنانير لمنع الغش والتلاعب وقد أشار الأب ماري انستاس الكرملي في كتابة المسكوكات وعلم النميات إلى رجل كان يسمى (الناقد) كانت وظيفته أن يجلس في السوق ليستشير الناس في تمييز الدراهم وفحصها ، حتى يعرف جيدها من رديئها ويضمن تمام وزنها .

ضرب المسكوكات في الكوفة

وأول إشارة لضرب المسكوكات في الكوفة كانت في زمن الأمير زياد بن أبيه بإيعاز من الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان سنة (٤٤هـ) (٣) وذكر ابن قتيبة (أن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ) عين الحجاج واليا على العراق سنة ٧٥هـ ، وضرب له الدنانير والدراهم العربية سنة ٧٦هـ) ، وبذلك يكون ابن قتيبة قد انفرد بذكر ضرب الدنانير على يد الحجاج (٤) غير أن الحجاج قد ضرب دراهم نقش عليها اسمه

والعبارة التالية (بسم الله لا اله إلا الله وحده محمد رسول الله) سنة (٧٦هـ) (٥)
والمرحلة النهائية لتعريب المسكوكات كانت سنة (٧٨هـ) ويحتفظ المتحف العراقي بدرهم
ضرب بأرمينية معرب تعريباً كاملاً لسنة (٧٨هـ) بالرقم (١٤٤٧٢)، خاض الحجاج بن
يوسف الثقفي (٧٦-٩٢هـ) معارك عنيفة إلا أن استقام الأمر لحكام بني أمية (٦) ،
وابتدأ سك الدراهم الأموية المعربة في الكوفة سنة (٧٩هـ) ، والدراهم التي نحن بصدد
دراستها تبدأ بسنة (٨٠هـ) في مدة ولاية المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل أميراً من قبل
الحجاج على الكوفة ، وكان الحجاج في وقتها منشغلاً بحروبه مع الخوارج ،
ونصوص هذا الدرهم هي كالآتي

لا اله إلا	الله احد الله
مركز الوجه: الله وحدة	مركز الظهر: الصمد لم يلد و
لا شريك له	لم يولد ولم يكن
	له كفوا احد

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة الطوق : محمد رسول الله ارسله
سنة ثنتين بالهدى ودين الحق ليظهره على

شكل (١)

الدين كله ولوكره المشركون نلاحظ أن نصوص هذا الدرهم مشابهة لنصوص الدرهم
المضروب بدمشق سنة (٧٩هـ) ، ويحيط بنصوص الوجه ثلاث حلقات وقد غفل من
ذكر أسماء الخلفاء أو الأمراء .

وفي درهم آخر مضروب في الكوفة سنة (٨١هـ) نصوص الوجه والظهر فيه مشابهة
للدرهم السابق:

لا اله إلا	الله احد الله
مركز الوجه: الله وحدة	مركز الظهر: الصمد لم يلد
لا شريك له	ولم يولد ولم يكن
	له كفوا احد

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة الطوق : محمد رسول الله

سنة إحدى وثمانين
ارسله بالهدى ودين ليظهره على
الدين كله ولوكره المشركون

شكل (٤,٣,٢)

وقد غفل هذا الدرهم من ذكر أسماء الأمراء أو الخلفاء مشابه لقالب الدرهم السابق ، بينما توزعت ثلاث حلقات متساوية الأبعاد على أطراف الوجه .
وخلال هذه السنة كانت رحى الحرب تدور بين عبد الرحمن بن الأشعث والحجاج بن يوسف الثقفي ، فأستخلف الحجاج على الكوفة عبد الرحمن بن عبد الرحمن الخضرمي (٧)

وفي درهم مضروب في الكوفة سنة (٨٢هـ) ونصوصه كما يأتي

الله احد الله

لا اله الا

مركز الظهر: الصمد لم يلد و

مركز الوجهة: الله وحدة

لم يولد ولم يكن

لا شريك له

له كفوا احد

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة
سنة اثنين وثمانين
الطوق : محمد رسول الله
ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون

شكل (٧,٦,٥)

والقالب مشابه تماماً لقوالب الدراهم المضروبة للسنوات (٨٠، ٨١ هـ) .
وفي هذه السنة شهدت الكوفة أحداثاً مضطربة إذ دخلها عبد الرحمن بن الأشعث الثائر على الحكم الأموي وطرده أميرها من قبل الحجاج مطر بن ناجية اليربوعي وتقدم الحجاج في نفس السنة بجيش جرار نحو الكوفة ودارت معركة بالقرب من الكوفة في منطقة دير الجماجم قتل فيها الحجاج الكثير من أهالي الكوفة من الفقهاء والقراء والعباد ، وانتهت بهزيمة ابن الأشعث (٨) ، وجعل الحجاج بعد انتهاء المعركة عمير بن هاني العنسي أميراً على الكوفة (٩)

وفي فلس نحاسي نادر ضرب في سنة مئة للهجرة أبان خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) حمل أسم الأمير عبد الحميد بالنصوص التالية

بسم الله	أمر الأمير
مركز الوجة : ضرب هذا	مركز الظهر: عبد الحميد با
الفلس بالكو	لؤفا والعدل
فه سنه مئه	

شكل (٨)

نلاحظ أن هذا الفلس حمل لقب الأمير وكنيته (الأمير عبد الحميد) ، وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد الملقب بالأعرج ، ولأه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أمره الكوفة سنة (٩٩- ١٠٠ هـ) (١٠) ، ثار الخوارج في أيامه وجرت بينة وبينهم معركة انتهت بهزيمة أمام الخوارج وفرارة من الكوفة ف نفس السنة مما اضطر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز إلى إرسال جيش لأنقاد الكوفة ، هذا وقد استمر الضرب على هذا المنوال طيلة خلافة الدولة الأموية في الكوفة دون ذكر اسم الخليفة أو الوالي واقتصر على ذكر المدينة وتاريخ السك ، في حين منحت صلاحيات للوالي أو الأمير بسك فلوس نحاسية تحمل نصوص مغايرة لنصوص الدراهم والدنانير ويحق للأمير أن يذكر عليها أسمى وبعض القابه وكناه.

هوامش البحث

- ١- ألبراقي ، حسين أنجفي : تاريخ الكوفة ، تحقيق أحمد العطية ، مطبعة الحيدرية ص ٢٨٥.
- ٢- نفس المصدر ص ٢٨٧.
- ٣- الكبيسي ، حمدان : أصول النظام النقدي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٨. ص ١٥.
- ٤- ابن قتيبة ، الدينوري : المعارف ، مطبعة القاهرة ١٩٨٠. ص ٢٥٦.
- ٥- دفتر ، د ناهض عبد الرزاق : المسكوكات ، مطبعة الكويت ١٩٨١ ص ٧١.
- ٦- الذهبي ، شمس الدين محمد: سير إعلام النبلاء، مطبعة الرسالة ، بيروت ١٩٨١، ج ٤/ص ١٤٩.
- ٧- الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المعارف القاهرة ، ج ٦ ، ص ٣١٩.
- ٨- عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث كان قائد عسكريا في جيش الحجاج ، ولأه الحجاج اماره سجستان ثم انقلب على الحكم الأموي لما وجد من ظلم وجور استطاع أن يهزم الحجاج ويدخل الكوفة عام (٨٢ هـ) وهرب الحجاج من الكوفة إلى البصرة ، فتبعه ابن الأشعث ودخل البصرة وبايعه أهلها وخلعوا الحجاج ، وسرعان ما بعث عبد الملك بن مروان بجيش جرار من جنود الشام استطاع

أن يهزم ابن الأشعث وأسرته، آل خليفة محمد علي : الكوفة وحكامها ، مطبعة أسوة ١٤٢٥ هـ ، ص ٢٩٦.

٩- نفس المصدر.

١٠- الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٣٩

والشبكة العنكبوتية العالمية .

<http://www.icollector.com>



شكل ١



شكل ٢



شكل ٣



شكل ٤



شكل ٥



شكل ٦



شكل ٧



شكل ٨

الهوامش:

١ - يميل الكثير من الباحثين الى الاعتقاد بان الخط العربي مشتق من الخط النبطي واغلب الضن ان الخط النبطي مشتق اصلا من الخط الهجائي الارامي وذلك للتشابه الكبير بين الخطين وقد بنى الباحثين استنتاجاتهم هذه على دراسة واسعة لبعض النقوش النبطية المكتشفة في البتراء عاصمة الانباط و مدائن صالح وفي سيناء ووادي حوران في سوريا واستنادا الى هذه النقوش النبطية المؤرخة بالقرنين الثالث والرابع والسادس الميلادي تبين ان الخط العربي في بداياته قريب الشبة بالخط النبطي المتأخر ، الجبوري ، سهيلة ياسين : اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي ، مطبعة الاديب ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٥١ ، ورحيم ، هاشم طه : النظرية النبطية حول اصل الخط العربي ، مجلة واسط للعلوم الانسانية ، عدد ١٠ ، ٢٠٠٤ ، ص ١٣٩ .

٢ - مثل اشتراطه على اسرى بدر تعليم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة مقابل اطلاق سراحه واحاديث اخرى في الخط مثل اذا كتب احدكم (بسم الله الرحمن الرحيم) فليظهر اسنان السين ، واذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن ، الجميلي كمال عبد جاسم : اثر القران الكريم في الخط العربي ، مجلة البحوث والدراسات القرانية ، الجامعة الاسلامية بغداد ، عدد ٩ سنة ٢٠٠٥-٢٠٠٦ ، ص ٣١٦ .

٣ - التدوين أي كتابة السيرة النبوية والتاريخ مثل كتاب المغازي النبويه للمؤلف محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) ، تحقيق زهير زكار ، دار الفكر دمشق ١٩٨١ و كتاب السير والمغازي للمؤلف محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ) تحقيق زهير زكار ، دار الفكر دمشق ١٩٧٨ ثم توسع التدوين والكتابة في شتى العلوم والمعارف مثل اللغة والادب والتاريخ والفلسفة ، انظر ابن

- زباله ، محمد بن حسن (ت ١٩٩ هـ) : اخبار المدينة المنورة : جمع وتوثيق ودراسة صلاح عبد العزيز ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٣ ، ص ١٥
- ٤ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٦٧ .
- ٥ - انظر حميد ، عبد العزيز ، ودفتر ، ناهض عبد الرزاق والعبدي ، صلاح : الخط العربي ، ص ٢٢-٢٣
- ٦ - فرج ، محمد : الفتح العربي للعراق وفارس ، تقديم احمد حسن الباقوري ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٦٦ ، ص ٩٥ .
- ٧ - فقد كانت الحيرة تزخر بمعاهد المدارس والكتاتيب ، زغلول ، الشحات السيد : السريان والحضارة الإسلامية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٧٥ ص ٢٠ ، و عبد الباقي محمود ، شيماء : دور نصارى العراق وتطورها حتى نهاية العصر الراشدي ، مجلة جامعة ديالى ، كلية التربية ، العدد ٥٣ ، ٢٠١١ ، ص ١٨ .
- ٨ - امين ، نضال عبد العالي : ادوات الكتابة ومواده في العصور الاسلامية ، مجلة المورد مجلد ١٥ عدد ٤ ١٩٨٦ ، وزارة الثقافة والاعلام بغداد ، ص ١٣٥
- ٩ - قطعت الكوفة شوطا بعيدا في المدينة والحضارة واصبحت مركزا للإشعاع الفكري الى جانب نظيرتها البصرة التان اشتهرتا بالفقه والحديث واللغة والتفسير ورواية الشعر والادب فضلا عن تنافسهما الشديد في هذه العلوم وقد لعب الخط الكوفي دورا كبيرا في نواحي الحياة المختلفة وذلك لعناية الكوفيين به ، الجبوري ، كامل سلمان : الخط الكوفة تاريخه أنواعه تطوره نماذجه ، دار الهلال بيروت لبنان ، ١٩٩٩ ، ص ٥٧ - ٥٩ .
- ١٠ - التوحيدي ، ابو حيان علي بن محمد (ت ٤٠٠ هـ) : ثلاث رسائل ، تحقيق ابراهيم الكيلاني دمشق ١٩٥١ ، ص ٤٦ ، و حمزة ، حمود حمزة : التوريق والتزهير في الخط الكوفي : رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار ، ١٩٨١ ، ص ١٥ .
- ١١ - يقصد باليوسة ان تكون الحروف ممتدة تتصف بالتربيع او الزوايا الحاده وقد عرف الخط الكوفي ايضا بالخط المزوي نسبة للزوايا وقد استخدم هذا النوع من الخط اليابس على المواد الصلبة مثل الاحجار والمعادن ، الشرعان ، نايف عبد الله : التعدين وسك النقود في الحجاز ونجد وتهامة ، ٢٠٠٧ ، المملكة العربية السعودية ، ص ٢٣٨ .
- ١٢ - الحسيني ، حسين فرج : النقوش الكتابية على العمائر في مصر ، تقديم اسماعيل سراج الدين ، دراسات في الخطوط عدد ٤ ، ٢٠٠٧ ، الاسكندرية ، ص ٥٤ ، الجبوري ، يحيى وهيب : الخط والكتابة في الحضارة العربية الاسلامية ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، ١٩٩٤ ، ص ٧١ فما بعد ، و ، عبد العزيز ، ودفتر ، ناهض عبد الرزاق والعبدي ، صلاح : الخط العربي ، ص ١٠٨ .